رأي القدس

مهزلة اسمها معبر رفح

■ ما زال معبر رفح نقطة العبور الوحيدة لاكثر من مليون ونصف المليون فلسطيني من ابناء قطاع غزة الى العالم الخارجي مغلقا في وجه هؤلاء بقرار اسرائيلي، واذعان مصري، وتواطؤ اوروبي، مما يعني ان مئات المرضى الذين يعانون من حالات مرضية مستعصية ولا يوجد لها علاج في مستشفيات القطاع سيواجهون خطر الموت.

المعبر جرى فتحه بعد وساطات دولية لبضع ساعات من اجل السماح لحجاج بيت الله الحرام بالمغادرة الى الاماكن المقدسة لاداء مناسك الحج، وما زال من غير المعروف ما اذا كان سيفتح للسماح لهم بالعودة ام لا، وكم يوم سينتظرون في الجانب المصري قبل ان يتمكنوا من العودة الى بيوتهم.

هذا المعبر، علاوة على حوالي 176 حاجزا اسرائيليا في الضفة الغربية، يشكل نقطة اذلال للشعب الفلسطيني، وممارسة سادية للتعذيب النفسي والجسدي من قبل الجنود الاسرائيليين الذين يتحكمون بالحواجز والمعابر حاليا.

وبلغ هذا الاذلال ذروته عندما اغلقت السلطات الاسرائيلية معبر رفح في وجه السيد اسماعيل هنية رئيس الوزراء لعدة ساعات اضطر خلالها للجلوس على الرصيف لعدم وجود اي كرسي او استراحة. وقد سجلت عدسات المصورين هذه المأساة بالالوان ومن مختلف الزوايا.

السيد اسماعيل هنية تمكن من العبور بعد وساطات مصرية مكثفة، ولكن بدون خمسة وثلاثين مليون دولارا كانت بحوزته حيث تم ايداعها في أحد البنوك المصرية.

بالأمس اعلنت السيدة ماريا تيليريا المتحدثة باسم المراقبين الاوروبيين في معبر رفح ان الدكتور صائب عريقات ابلغ لجنة التنسيق التي تضم اوروبيين ومصريين واسرائيليين ان الرئيس حسني مبارك قدم «التزاما» لعباس بعدم مرور اي اموال من الجانب المصري من الحدود باتجاه قطاع غزة، واضاف: «اذا كانوا يحملون اموالا، فسيتم ايداعها في بنك مصري، ولن يسمح بمرورها عبر معبر رفح».

ومن المفارقة، ان هذا الالتزام المصري يتزامن مع انباء شبه مؤكدة عن عزم حكومة ايهود اولمرت الافراج عن 600 مليون دولار من الاموال الفلسطينية المحتجزة وتسليمها الى الرئيس محمود عباس.

المسؤولون في «حماس» ليسوا مهربين ولا هم تجار عملة، ويضطرون للقيام بجولات في العواصم العربية والاسلامية لجمع الاموال لتسديد رواتب الموظفين وعائلات الاسرى والجرحى والشهداء، في محاولة من جانبهم لكسر الحصار المالي التجويعي المفروض على ابناء الشعب الفلسطيني، عقابا لهم على ممارسة خيارهم الديمقراطي وانتخاب حكومة طاهرة اليد وملتزمة بالثوابت الفلسطينية في تحرير الارض، واستعادة القدس، وتحقيق حلم الملايين من ابناء الشعب الفلسطيني بالعودة الى ديارهم.

لا شك أن حمل السيد هنية عشرات الملايين من الدولارات في أكياس وحقائب منظر غريب وغير مألوف، ولا نعتقد انه كان يفضل ان يتعرض للتوقيف على المعبر وهو يحمل هذا المبلغ، ولكن لم يكن امامه، او امام اي من المسؤولين الاخرين في حركة «حماس» غير هذه الطريقة لكسر الحصار.

التزام الرئيس مبارك بمنع مرور اي اموال في الجانب المصري من المعبر امر معيب بكل المقاييس، لأن مصر وعلى لسان وزير خارجيتها السيد احمد ابو الغيط التزمت مع الدول العربية الاخرى بقرار صدر عن اجتماع لوزراء الخارجية العرب قبل شهر، بكسر الحصار المالي على الشعب الفلسطيني، وعدم الالتزام باي قرار امريكي في هذا الخصوص.

وكنا نتوقع من مصر الدولة العربية الاكبر والاكثر اهمية وثقلا، ان تلتزم بقرار وزراء الخارجية العرب، وتبادر الى كسر الحصار بنفسها، وترفض البلطجة الاسرائيلية على معبر رفح ولكن توقعاتنا لم تكن في محلها.

الحكومة المصرية اكدت اكثر من مرة ان معبر رفح شأن مصري فلسطيني لا دخل لاسرائيل فيه، ولكن هذه التأكيدات جرى لحسها بشكل مهين، واصبحت اسرائيل صاحبة الكلمة الاولى والاخيرة في معبر انسحبت منه قبل عام.

هل يقلد الحكام العرب لاعب كرة القدم ام العكس؟

د. مضاوي الرشيد *

■ شاءت الأقدار ان نضغط خطأ على زر الريموت كنترول فتحولنا الى قناة فضائية سعودية ليس من عادتنا متابعتها ولو من باب الحشرية فاذا بنا نطل على حوار ساخن اقرب ما يكون لمشاجرة بين مذيع شاب ورجل يكبره بالسن. علا الصراخ وارتفعت الاصوات واكفهرت الوجوه وكأنهما في حلقة مصارعة. امام اتهامات الشاب المذيع بدا الحوار صريحا وجريئا. عرفنا بعد لحظات ان الموضوع المناقش هو ضرب الحكام ودور الاعلام في تغطيته وفضح خفاياه ونوايا الضارب والمضروب وموقف المتفرجين او المشاركين في عملية الضرب وردة فعل الاجهزة الامنية والقوانين العالمية والمحاكم الشرعية وتأثير عملية الضرب على مستقبل الأمة وسمعتها وخاصة الفرقاء المتصارعين. جرأة المذيع في توجيه الاتهامات جاءت متسلحة بقصاصات ورقية فيها الدليل الثابت والقطعي الذي يدين المستنطق وهو جالس على كرسي كبير ومريح امام عدسة الكاميرا كاد ان يفيض من على الكرسي لولا ثقل جسده والجاذبية لهذه الكتلة التي اقعدتها وشلت حراكها. بدا المتهم متلعثما مبررا لعملية الضرب التي يشهدها الحكام والذين يستفزون الجمهور بغبائهم ساعة وانحيازهم ساعة اخرى وعرج المدافع عن الحكام على جهل هؤلاء بالقوانين الدولية والاتفاقات العالمية.

تساءلنا عند هذه اللحظة عن قدرتنا على تتبع أخبار العالم العربي هذا العالم الذي اصبح جريئا لدرجة ضرب الحكام وهاهو اليوم يفاجئ العالم ويضرب حكامه متجاوزا حدود اللياقة والأدب وطاعة أولي الامر.

ظننا ان الريح قد هبت على الحروف الساكنة واقتلعت الاشجار اليابسة شطحنا في مخيلتنا الى اقصى الحدود وانتابنا شعور غريب عجيب. ضرب حكام وعلى الهواء مباشرة وعلى قناة سعودية؟ لا بد ان هناك سياسة اصلاحية جديدة تجاوزت الحوار الوطني الى الضرب المباشر والصريح؟ ربما انه انفتاح اعلامي سيستقبل على اثره اكبر رئيس اعلامي ليس لأسباب عائلية او شخصية بل لتجاوز الحدود والتطاول على الحكام وربما انهم يضربون يوميا ولكنها المرة الاولى التي يتم فيها مناقشة الموضوع بجرأة وانفعال. في هذه اللحظة الحاسمة انتقلت عدسة المصور الى الحلبة نفسها حيث يتم ضرب الحكام واختفى وجه المذيع وضيفه وانتقلنا الى ملعب الكرة حيث ضرب الحاكم عندها انقشعت الغمامة وتبدد الضباب عدنا الى الوعي بعد غيبوبة قصيرة في متاهات اللاوعي وخفايا النفس لنواجه الواقع على ارض الملعب فاذا برجال تهرول بعضهم بالزي العسكري وبعضهم استل العقال كسيف يلوحه في وجه الحاكم وآخر شمر ثوبه حتى ظهرت السيقان وبانت العورات. اختلط الصراخ والعواء بالعرق المتصبب من الجثث الضخام حتى كدنا نصاب بالغثيان من النتن وهو يفوح من شاشة التلفاز والمنقول بتقنية عالية من مراكز الاحتقان. ارتفعت صفارات الانذار ودخل العسكر حلبة الصراع بعصى ثخينة لتأديب القطيع الشارد عن الاجماع. لاحقوا الحاكم لنهش قطع من جسده الراكض فتفاعل العسكر مع الجمهور الغاضب لم نعد نفرق بين الحاكم والمحكوم وجهاز الأمن المحتار. اختلطت الصور في الاذهان وعدنا الى غرفة الحوار الساخن، تلعثم الضيف وقدم الاعذار ولكن كلها ذهبت في لهيب الحوار واتهامات المذيع المغوار.

انتهت حلقة الحوار الجريء وعدنا لنطرح السؤال. نعترف بجهلنا وعدم متابعتنا لحلبات الصراع في ملاعب كرة القدم. لم نطلع يوما ما على شريعة الفيفا ولا كيفية تعريبها في عالمنا العربي او تطبيقها على الارض ولكن من مبدأ محلية المعلوم لا نشك انها كغيرها من الشرائع والمعاهدات الدولية لا بد ان تغطي عليها الممارسات العربية الاصيلة تماما كما يتم فرنستها في فرنسا وانكلزتها في بريطانيا وبطريقتنا وما يسمى خصوصيتنا لا بد لهذه الشرائع ان تطبع وتطعم بدمائنا الحارة وعنفوان الرجولة وكبرياء الجمهور المشاهد لغزوات كرة القدم ذات الشعبية الضخمة.

نحن هنا بصدد حالة منتشرة وظاهرة متفشية حسب برنامج الصدفة الذي شاهدناه وتابعناه متنقلين بين الواقع وشطحات الخيال.

تخيلوا ضرب الحكام في ملاعب الوطن الكبيرة ـ السبب جهلهم بالقوانين. سبب وجيه، او تجاوزهم للأعراف المتفق عليها بين الامم. سبب آخر وجيه. بالطبع سترتفع احصاءات المشاهدين لمثل هذه البرامج المتلفزة وتزيد شركات الاعلانات دخلها بشكل واضح وكبير. ربما حكام كرة القدم يشتركون مع حكام الاوطان في بعض الامور منها التحيز لفئة على حساب اخرى ومنها الاستهتار بالشرائع الدولية والمعاهدات التي وقعوا عليها. ومنها تجاوز الخطوط الحمراء على مرأى ومسمع الجمهور الكبير. من يقلد من في هذه المعركة يا ترى؟ حاكم الكرة ام حاكم الوطن. أليس الواحد نسخة مستنسخة من الآخر. لا اعتقد ان حكام العرب يقلدون لاعب كرة القدم ولكن ربما العكس صحيح. الحاكم هو القدوة اذ انه يعمم نمطه على الجميع ويستفز الجمهور كل يوم في المدرسة وعلى مقاعد الدراسة وفي الجامعة حيث تقفل الابواب الحديدية على من بداخلها حتى لا يخرج هؤلاء ويمارسوا الضرب الصريح في شوارع المدينة. يستفزهم بدوائره الرسمية وبيروقراطيته المستشرية بتغطرس حكام صغار ليس لهم من سلطان سوى اختام يطبعونها على الاوراق الرسمية يستفزونهم بقيود تكمم افواههم وسجون كبيرة يقبع فيها السجين والسجان. يستفزونهم بخطب جمعة وصلوات جماعية تندد وتستنكر وتدعو للسلطان بالرفاه والعزة والاباء. فيحتقن الجمهور ويتشنج المصلون ومن ثم يخرجون لينقضوا على الحاكم فيضربونه في ملعب الكرة ويفرغون احتقانهم في اطباق مليئة بالرز واللحم او امام شاشات التلفاز حيث يتتبعون تذبذبات السوق يحتسون الشاي وينفخون الدخان، يراقبون المؤشر باصبع على الريموت وآخر يداعب مسبحة علقت على المعصم وتدلت بين الركبتين والسيقان.

يلعنون الحاكم في المنام ويضربونه بالعصي كل يوم عند ارتفاع المؤشرات وانخفاضها، يصحون من المنام ويتزينون بالعقال ومن ثم يخرجون للتسبيح بحمد الحاكم والسلطان. ينبهرون بميزانيات لم توضع بعد في الميزان ويتجاوزون قصص الرشاوى والسرقة والاختلاس ويتساءلون اين تذهب الاموال وتعالج البطالة في مستشفيات المدن الصناعية وبريق المراكز التجارية. يحجون الى الملاعب الرياضية ويحاصرون الحاكم المستهتر بالفيفا ويضربون العسكر والفريق المنافس.

تفعل الرياضة فعلها في الامم. هي تنفس الاحتقان بعد شحن النفوس بمعاناة الايام، تمتص التشنج وتجييش اكثر الجيوش بلادة، تصرف عليها الاموال الطائلة خاصة في بلاد تعرف خطر الشباب وهي سياسة مدروسة لامتصاص الغضب الذي يساق الى الحلبة بدل ان ينفجر في الشوارع فلا يكتفي بأعمال الشغب والاستهتار بأرواح البشر بل قد يطال الحاكم ذاته. بعد القنوات الراقصة تأتي الرياضة المدروسة كبديل للانفجار وكتمييع لنضارة الشباب الفكرية حيث يكون المطلوب تعطيل الفكر وتفعيل العضلات. ورغم ان العقل السليم هو في الجسم السليم الا ان المعادلة انقلبت واصبحت الرياضة هدفا لا وسيلة. وبدلا من التحزب للافكار تظهر التحزبات الرياضية فلكل فريق اتباعه وانصاره والكل يستميت للدفاع عن فريقه حتى لو اضطر الى ضرب الحاكم.

لا يمكن لاحد ان يتهمنا اننا تخلفنا في مجال اللحاق بأهل الفيفا وقبائلها المنتشرة في ارض المعمورة واليوم نحن السباقون وهم اللاحقون. ولربما تقلب معادلات العولمة لصالحنا في هذا المجال والذي ابدعنا في فنه وتفننا في ابداعه. ولم لا ونحن اصحاب الميزانيات الخيالية والارقام السحرية. قليل في هذا الملعب او ذاك ونحقق تأجيل الانفجار وترشيد غضب الجمهور وندعي الاخاء في ملعب الكرة حيث نصارع الاخرين بروح رياضية قد تنتهي بضرب الحكام. نعلق قمصان الفريق على صدورنا ونلوح بعلم البلاد ونطبع بابرة الوشم رمزنا على الجباه وبذلك نشجع على تنمية روح الوطن والمواطنة. نخرج من هوياتنا الضيقة البدائية كما يخرج المارد من القمقم نهتف الشعار ونحن ضحية الشعار. اصبح الوطن كرة يتقاذفها اللاعبون من اليمين الى اليسار عل احدهم يصيب الهدف ويصل الى الشبكة المحصورة في زاوية الملعب. ورغم ان بالشبكة ثقوبا كبيرة الا ان من يصل يبقى ويستمر في اللعب ونسج الخيوط العنكبوتية.

سيضرب حكام الملعب وستتلفز حلقات الضرب لانها انعكاس لحالة الجهل بالقوانين والاستهتار بها وتجاوزها. نأمل ان لا تفوتنا مثل هذه البرامج لان فيها من التسلية والحكمة ما لا نجده في برامج اخرى. ولكل غزوة كروية حادث وحديث.

* كاتبة واكاديمية من الجزيرة العربية

انهم يكرهون بغداد العروبة والاسلام ويتمنون حرقها

هارون محمد *

■ قامت قيامة قادة الشعوبيين والصفويين والبيشميركه الانفصاليين ولم تقعد لحد الان، لأن مؤتمراً لنصرة الشعب العراقي قد عقد في استانبول التركية، وحضره الزعيم الوطني والعروبي الدكتور الشيخ حارث الضاري مع نخبة من المفكرين والعلماء العرب، وأغلبهم من أصحاب المواقف المعروفة بمناهضة أمريكا والعدو الصهيوني والطامع الايراني، ومعارضة الانظمة والحكومات العربية بما فيها حكوماتهم التي يسجلون عليها تفرجها على ما يتعرض له أخوانهم السنة العرب في العراق، من تنكيل وتقتيل واختطاف وتطهير واجتثاث واستئصال من قبل قوات الاحتلال وشيعة واشنطن وطهران وعملاء الموساد في اربيل والسليمانية.

وقد وصلت حالة الهيجان والغضب على المؤتمر بأحد الملالي ممن كان يرتزق من المخابرات الايرانية التي افتتحت له مركزاً للدراسات في بيروت طيلة السبعينات والثمانينات، وشقيقه ما زال يعمل في خدمة المخابرات السورية حتى اليوم في دمشق، أن يطالب مجلس النواب الكسيح وبدون نصاب قانوني بمعاقبة الدكتور عدنان الدليمي رئيس كتلة التوافق في المجلس، والسبب انه وقف في المؤتمر المذكور وأعلن بعالي الصوت ان حرباً منظمة يقودها المتعاونون مع الاحتلال وأتباع ايران لتصفية السنة العرب في العراق بدوافع طائفية، موضحاً ان مقدمات هذه الحرب تدور في بغداد العاصمة منذ شهور، وتستهدف اجبار أهلها على مغادرتها ليحل مكانهم الغوغاء، وتغيير معالم سيدة المدن العربية والاسلامية، وتشويه أسمها وتأريخها وتراثها، وتدمير سمعتها واصالتها، لتصبح مدينة خربة، والقضاء على (البغادة) سكانها الاصليين.

وليس دفاعاً عن الدليمي الذي لنا عليه ملاحظات وملاحظات كنا في اكثر من مناسبة ومقال قد وجهناها إليه، وفي مقدمتها عدم مبادرته في الطلب الى أعضاء القائمة التي يرأسها بالانسحاب في حكومة الطائفي جواد او نوري المالكي، وتعليق نواب التوافق عضويتهم في البرلمان الأعرج، الا ان حديثه في استانبول كان صحيحاً ولم يأت بجديد، فالسنة العرب في العراق ومنذ الاحتلال البغيض، متهمون بلا ذنب، وملاحقون بلا جرم، يختطفون تحت سمع وبصر الاحتلال وحكومة المنطقة الخضراء، ويقتلون وترمى جثثهم في الشوارع والساحات، وحتى الضحايا في مشرحة بغداد من السنة العرب يتعرضون الى التمييز الطائفي الاسود، فلا يسلم جثمان شهيد الى أهله او ذويه الا بعد دفع مبلغ يتراوح بين مليون الى خمسة او عشرة ملايين دينار، حسب مكانة ومنزلة الشهيد، لأن حثالات جيش المهدي وفيلق بدر يسيطرون على المشرحة ويديرون شؤونها.

ويخطئ الدكتور عدنان الدليمي عندما يقول ان التنظيمات والميلشيات الصفوية تسعى الى تحويل بغداد السنية تاريخياً واجتماعياً الى مدينة ذات اغلبية شيعية، لان قيادة هذه التنظيمات والميلشيات تكره بغداد وتحقد عليها ولا تطيقها، وتتطير من اسمها وذكرها وخلفائها وبناتها ورموزها وتراثها، وتعتبرها مدينة عدوة لان العباسيين شادوها وأسسوا فيها امبراطورية عربية واسلامية غطت نصف العالم، ومنها انطلقت حضارة دامت قرابة خمسمئة سنة، وصارت بغداد رمزاً وعنواناً للمجد، يفخر بها العرب والمسلمون من اسبانيا والمغرب حتى خراسان واندونيسيا وماليزيا والصين ومن الاناضول الى افريقيا، انهم يريدون تخريبها وليس احتلالها، والعودة الى التأريخ ودروسه ضرورة في هذا الوقت العصيب الذي تعيشه بغداد العز والاباء، ولعله من المفيد هنا اعادة قصة فقيه الشيعة ابن طاوس في عام 1258، الذي قاد وفداً من زعماء الشيعة يومذاك الى هولاكو المعسكر خارجها وقدم له فروض الطاعة وأغراه باحتلال بغداد، ولما سأله الغازي كيف قدمتم الي وانتم لا تعلمون بما سينتهي أمري مع صاحبكم المستعصم، وكيف تأمنون اذا صالحني ورحلت عنه؟ فرد بن طاوس وهو يحرض هولاكو على الزحف نحو بغداد واحتلالها قائلاً: أقدمنا على ذلك لاننا روينا عن امير المؤمنين علي بن ابي طالب (عليه السلام) انه قال في خطبة: الزوراء وما أدراكم ما الزوراء، أرض ذات أثل، يشيد فيها البنيان، ويكثر فيها السكان، يتخذها ولد العباس موطناً، ولزخرفهم مسكناً، تكون لهم دار لهو ولعب، يكون فيها الجور الجائر، والخوف المخيف، والائمة الفجرة، والامراء الفسقة، والوزراء الخونة، يخدمهم ابناء فارس والروم، لا يأتمرون بمعروف اذا عرفوه، ولا يتناهون عن منكر اذا انكروه، تكفي الرجال منهم بالرجال، والنساء بالنساء، فعند ذلك الغم العميم والبكاء الطويل، والويل والعويل لاهل الزوراء من سطوات الترك وهم قوم صغار الحدق، وجوههم كالمجان المطوقة، لباسهم الحديد، جرد مرد، يقدمهم ملك يأتي من حيث بدأ ملكهم ـ يعني ملك العباسيين ـ جهوري الصوت، قوي الصولة، عالي الهمة، لا يمر بمدينة الا فتحها، ولا ترفع عليه راية الا نكسها، الويل الويل لمن ناواه فلا يزال كذلك حتى يظفر، وللمزيد من المعلومات حول هذا الموضوع، يراجع كتاب عباس القمي (سفينة البحار) الجزء الاول وكتاب باقر المجلسي (بحار الانوار) الجزء 109 المجلد 14 ، علما ان هذه الخطبة مدسوسة على الامام علي ومفتعلة من آل طاوس، واسم الزوراء لم يعرف الا في العصر العباسي الاوسط بعد استشهاد الامام بقرنين على الاقل، وابو الحسنين لم يكن عرافا او عالما بالغيب، لذلك لم يكن غريباً على أحفاد آل طاوس ومقلديهم الحاليين، ان يهرولوا وراء الدبابات الامريكية عند احتلال بغداد ويتعاونوا مع المحتلين، ويذهب كبيرهم ويرهن عمامته السوداء في البيت الابيض، ويصر على لقاء بريمر ورامسفيلد ويسجد لهما ويحمد حربهما على العراق ويتبادل القبلات الحارة معهما.

وما دام الحديث عن بغداد وما تواجهه من تشويه وخراب وتطهير وقتل جماعي، لابد من الاشارة رغم مرارتها وقسوتها الى ان الذين قاموا باعمال النهب والسلب وسرقة المال العام وتدمير البقية الباقية من البنى الصناعية والاقتصادية والصحية عشية الاحتلال، هم اولئك الذين في نفوسهم أحقاد دفينة على بغداد، ويحملون في اعماقهم عقدا مرضية (من المرض) ودونية اخلاقية، وليس صحيحا تلك الذرائع الواهية التي ساقها وحاول تسويقها عدد من المتعاونين مع الاحتلال في تبرير اعمال النهب واللصوصية والتخريب بانها نتيجة جوع وفاقة، فالجائع يسرق طعاما واموالا ـ على سبيل الافتراض ـ لسد حاجته، رغم ان الشرفاء من الناس قد يموتون ولا يمدون ايديهم الى الحرام، اما ان يخرب مبنى، ويحرق مكتبة، ويدمر مستشفى، ويفجر معملا، ويحطم متحفا، فالامر مبيت ومنظم ولا علاقة له بالجوع والحاجة.

انهم يريدون مسح بغداد من الوجود، وشطب اسمها من خارطة العراق، والغاء عروبتها، دون ان يدركوا لعمى بصرهم وبصيرتهم انهم أعجز من ان ينالوا من عروس العراق والعرب وقبلة العالم، مهما خربوا وقتلوا، وقبلهم حاول المغول والتتار والبويهيون والصفويون والسلاجقة والماليك، والنتيجة انهم هزموا وخابوا، وبقت بغداد لاهلها ومحبيها. وستعود الى سابق عهدها، أنيقة وحلوة ورقيقة، يفوح عطرها في الافاق بعد ان تنظف أحياءها وشوارعها وميادينها وبيوتها وأجواءها من المحتلين، والوسخين والمتخلفين والظلاميين والعجم الدخلاء، والعملاء والطارئين عليها.

* كاتب وصحافي عراقي مقيم في لندن

عن الصفويين والوهابيين والصليبيين

د. عبدالوهاب الافندي

(1)

في الأسبوع الماضي، أصدر عدد من العلماء السعوديين نداءً للتضامن مع العراقيين السنة المهددين كما قالوا بالتحالف الصليبي ـ الصفوي. وقد سبقت هذه الدعوة ما نشر في «واشنطون بوست» بأن السعودية قد تدعم السنة في العراق إذا انسحبت القوات الأمريكية، وما تبع ذلك من تنصل السعودية الرسمية من هذه المزاعم وفصل مستشار السفارة الذي نشرت الدعوى تحت توقيعه ثم استقالة السفير السعودي في واشنطن الأمير تركي الفيصل وسط شائعات (نفتها السعودية الرسمية أيضاً) بوجود خلافات داخل العائلة الحاكمة حول أمور كثيرة منها السياسية إزاء العراق.

(2)

ليس بمستغرب أن يعلن ناطقون باسم السنة في السعودية التضامن مع سنة العراق في جو الاستقطاب الطائفي السائد، ولكن ما يدعو إلى التوقف هو استخدام هذه اللهجة الطائفية التصعيدية المتطرفة ووصف شيعة العراق بـ«الصفويين» في محاولة مركبة لنفي الإسلام والعروبة والهوية العراقية عنهم.

(3)

في نفس يوم الإعلان عن الخطاب السعودي أعلن رئيس الوزراء توني بلير أن إيران تشكل أكبر تهديد للأمن في منطقة الشرق الأوسط بسبب برنامجها النووي وتدخلاتها في العراق ولبنان. وقد أعلن الاتحاد الأوروبي أيضاً في قمته الأسبوع الماضي عن اصطفافه ضد إيران. وفي الأسبوع الماضي أيضاً قام بلير بجولة في المنطقة بدأت من تركيا «السنية»، ثم عرج على فلسطين المحتلة والأردن والعراق وبعض دول الخليج. وقد أكد بلير دعمه للحكومة «السنية» في لبنان ثم (مع دول عربية معروفة وإسرائيل) دعمه للرئيس الفلسطيني محمود عباس ضد كل من حزب الله وحماس المدعومين من إيران، وبالطبع لحكومة المالكي في بغداد. ولا شك أن البعض يمكن أن يشتبه (إن كان من تلك العقلية) بمؤامرة «وهابية ـ صليبية ـ صهيونية» ضد إيران والمقاومة في لبنان وفلسطين والعراق. ألم يعلن بلير دعوته لتحالف «معتدل» من الخليج «السني»؟

(4)

الذي لا شك فيه أن السنة في العراق هم ضحية هجمة شرسة من فرق القتل ذات الهوية الطائفية والمدعومة نوعاً من الحكومة العراقية. وما لا شك فيه أيضاً هو أن بعض فصائل ما يسمى بالمقاومة العراقية دأبت منذ مدة على ممارسة الاستهداف الطائفي للشيعة على الهوية، أحياناً بالتذرع بحجج تكفيرية مستقاة من بعض التأويلات الوهابية المتطرفة. والذي لا شك فيه أن من يسمون بالعقلاء (مجازاً) في الجانبين لم يأخذوا على يد سفهائهم وينكروا عليهم ويعزلوهم، إما ضعفاً، وإما تواطؤاً وإما غفلة عن تدبر العواقب.

(5)

لقد ظللت منذ وقعت واقعة الاحتلال أكرر أن ما يجري في العراق هو حرب أهلية، وأن الحديث عن مقاومة الاحتلال لا معنى له في بلد تؤيد فيه طوائف بكاملها الاحتلال وتلوذ به. وقد اعترف كثيرون مؤخراً بما تغافلوا عنه، بمن في ذلك جهات إعلامية أمريكية مثل شبكة إن بي سي. وقد طالبنا على أساس ذلك بإعطاء الأولوية للمصالحة بين العراقيين كشرط أول للتحرك المشترك نحو إنهاء الاحتلال، ولكن البعض ظل على عناده.

(6)

الفهم الخاطئ للإشكال القائم دفع البعض للاحتفال بتصريحات مقتدى الصدر صاحب التوجهات الطائفية المتطرفة الذي يناهض الاحتلال لفظياً ويلوذ به كغيره عملياً. وقد كان من السخرية أن اتضح الآن أن الجماعات الموالية للصدر هي التي تتولى كبر أعمال القتل على الهوية، ومن قبل بادرت ـ بحسب اتهامات لها ما يدعمها ـ باغتيال الزعيم الشيعي المعتدل السيد عبدالمجيد الخوئي. ومن السخرية أيضاً أن بعض الأصوات السنية مثل قادة الحزب الإسلامي أصبحت تطالب ببقاء الاحتلال كحماية لها من الاستهداف الطائفي.

(7)

الوضع في العراق وصل حداً لم تعد تحتمل المجاملة، ولا بد من تسمية القتلة بأسمائهم، وتحميل كل صاحب مسؤولية مسؤوليته أمام الله والأمة. ولكن أضعف الإيمان، وأهون المسؤوليات، هي ألا يساهم أي كان في إذكاء نار الفتنة باستخدام لغة تحريضية متطرفة لا تخدم أي غرض سوى توسيع لهيب الصراع إلى خارج العراق. وقد نهى الله تعالى المؤمنين عن التنابز بالألقاب وكثير من الآثام الأخرى التي غاص الكثيرون في وحلها المفضي إلى جهنم، من دعاوى الجاهلية إلى قتل النفس البريئة. ومن كان يؤمن بالله فليقل خيراً أو ليصمت.

(8)

إن العدو الأكبر للشيعة والسنة معاً هو التطرف والغلو. الجماعات المتطرفة والأطروحات المتطرفة تدمر أول ما تدمر أصحابها، وغالباً ما تجلب الكوارث على الجماعة بكاملها، فهي فتنة لا تصين الذين ظلموا خاصة. ولمن شاء عبرة في تطرف العنصريين الروديسيين البيض، أو الصرب أو الهوتو وقبلهم نازيو ألمانيا واليابان الذين جلبوا على قومهم الدمار حين زعموا التصدي للدفاع عنهم ورفع رايتهم. وهناك سباق الآن بين الشيعة والسنة في العراق عمن سيصبح هوتو ذلك البلد أو صربه، وهو سباق ستكسبه الفئة التي تسلم قيادها لمتطرفيها.

القدس العربي
يومية سياسية مستقلة
تطبع في لندن ونيويورك وفرانكفورت وتوزع في جميع انحاء العالم
الاشتراكات:
الاشتراك السنوي 450 جنيها استرلينيا في عموم بريطانيا و 750 دولارا امريكيا للوطن العربي وخارج بريطانيا بما في ذلك اجور البريد.

الناشر:
مؤسسة القدس العربي للنشر والاعلان

رئيس التحرير:
عبد الباري عطوان

المقر الرئيسي (لندن): 164/166 كنج ستريت، همرسميث، لندن دبليو 6 او كيو يو
هاتف: 8008 741 ـ 0208 (6 خطوط) ـ
فاكس: 8902 741 ـ 0208 أو 7637 748 ـ 0208
مكتب القاهرة: 43 أ شارع قصر النيل ـ الدور الاول ـ شقة رقم (2). هاتف/فاكس: 3901523(202)
مكتب المغرب: 80 شارع فال ولد عمير شقة 7 الطابق الرابع ـ الرباط. هاتف/ فاكس: 770594(37 212)
مكتب عمان: شارع الصحافة مجمع البداد التجاري الطابق الرابع.
هاتف/فاكس: 5066089 (9626)
مكتب باريس: هاتف ـ فاكس: 57364 420 (331)

Al-Quds Al-Arabi
daily Independent News Paper
Published In London, New York and Frankfurt by Al Quds Al- Arabi Publishing LTD
Circulated in Europe, Middle East, North Africa and North America.
Editor In Chief
ABDEL BARRI ATWAN

Head Office (London): 164-166 King Street, Hammersmith, London W6 0QU England
Tel: 0208-741 8008 (6 Lines) Fax: 0208-741 8902 / 748 7637
email: alquds@alquds.co.uk * Internet: www.alquds.co.uk
Cairo Office: 43 a Kasser Al Neel St, First Floor, Flat No (2).
Tel/Fax: (202) 3901523
Morocco Office: 80 Fal Ould Omeir Str. Flat No.7 - Rabat - Morocco
Tel/Fax: (212 37) 770594
Amman Office: Al Sahafa St. Badad Business Complex.
Tel/Fax: (9626) 5066089
Paris Office: Tel / Fax: (331) 420 57364